المجاهد

للأستاذ عبد الحليم عباس

هات لى عتادى

فقد انتهت المعركة بينى وبين نفسى . هى تريدنى أن أقرّ ، وأريدها تحيا ساعةً من نهار فى جحيم المعركة ؛ وهى تريدنى أن أعيش فى الحياة ، وأريدها أن تسعد مع الموت

ها هو ذا الظلم مستعلياً أبداً ، كشأنه فى كل عصر ؛ لا أزعم أنى سأمحقه ، فقصارى الجهد أن أضع من جحيمى حجرا فى الزاوية

هات لى عتادى

فما قيمة العمر يمضى ، وصليل القيد يصك سمعى ، ورؤية الظلم تُعشى نواظرى ... وما الحياة إن خلت من جمال الحق وعظمة الحرية ، إلا جبٌ منتن أكبرنا فيه حشرة

هات لى عتادى

فلو عرف الناس لذة الحياة لقدّسوا الموت ، ولو ذاقوا حلاوة الايمان بالحق لدلفوا طُمةً للنار ... وما خير عيشٍ يرين عليه الظلم ، وما لذةُ حياةٍ كل ما فيها متعة للظالمين ؟

هات لى عتادى

فلست أرهب موتاً يتساوى فيه الشقىّ مع السعيد ، والراسف بالقيد مع الذى قيّده ، فرب جفنٍ ما رقأت دموعه ، ورب قلبٍ ما التأمت كلومه ، وجد له فى الموت وفى ظل القبر برد الراحة وهناوة العزاء

هات لى عتادى

وتعالى انظرى عزمة الحق الأعزل ، واستخذاء الباطل المسلح ... ها هما يتلاحمان ... فلمن الغلبة ؟ ألليباطل فقديماً غَلَب ، أم للحق فتلك ومضات فى حلوكة التاريخ ؟

منذ ساعة فتحّ الحق عينى ، وأنار الايمان قلبى ، فرأيت مواكب الأحياء على حقيقتها سائرة تتململ ولا تشكو ، وتجرع الغصة ولا تئن ، ورأيت الحقّ فيما بينها مهيض الجناح ، مشنوءا حامله ، فعلمت أن من يعرف الحق ويؤمن به كل عمره ، مهما طال — ساعةٌ من نهار

منذ ساعة فتحّ الحق عينى ، فرأيت الانسانية ، ترجع إلى الوراء فعلمت أنه إن لم يصدها الايمان ، وتلتق بها القوة المؤمنة ، فغير بعيدٍ ذلك اليوم الذى تحتفل به لأكل لحم البشر !

وسار المجاهد ، رافع الرأس ، منتصب القامة ، يتلألأ على وجهه نور اليقين ، ويرف عليه روح من الحق ، قال وكأنه يخاطب نفسه :

ليست حقيقة الحياة فى الحياة ، وإنما هى فيما وراءها ؛ وليس الموت فى سبيل الحق غير اتحاد بهذه الحقيقة التى هى « الله »

للفضيلة درسٌ مختصر ، وهو أن تضع بدل كلمة « أنا » « نحن » ، والحجة القاطعة على أنك وضعت هذه بدل تلك أن تكتبها بدمك ، لتقيمها على حجارة رمسك

ليس العمر مجموعة أيام ، وإنما هو سجل أعمال ؛ فرب كهل لم يعش غير أيام ، ورب فتىً لا تحصر عمره الأعوام ؛ فاذا لم يك من الموت بد ، فلمْ لا تزد بعمرك ساعة جهاد ، لتطاول الحقب ولتدرج مع الأجيال ؟

يقولون إن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة ، أتدرى لماذا ؟ لأن من يستعلى على الظلم ساعة فى ساحة الموت ، يشارك الحكمة الأزلية فى عملها ، وهى الجهاد لتثبيت الحق ، فى هذه الأرض . فحالٌ أن ترضى الحكمة الخالدة فى غير نزوله فى كنفها ..... فى الجنة

* * *

وطويت الأرض تحت قدمى المجاهد ، فسار يلفّ السهل بالحزن ، ويطوى البيد ، حتى شارف المعركة ، فوقف يتأملها برهة ، وقد فاضت عليه قدسية الجهاد ، والتمعت عيناه ببريق جميل ، هو بريق عظمة الموت ، فأخذ يتمتم :

إيه ياوطنى ! سماؤك وأرضك ، جبالك الشم ووهادك الفيح ، كلٌّ لها فى القلب موطن حرمةٍ وجلال . تمنيت أن لى ألف نفسٍ أفديك بها ، ولكنها نفسٌ واحدة ، فدونكها جهد المُقل

إيه ياوطنى ! مهبط الذكريات ، ومغنى الأمل ، غذتنى تربتك ، وبعثت فىّ الحياة نسماتك ؛ ليس الظلم المخيم على ربوعك إلا جزءاً من الظلم المنيخ على العالم بكلكله ، وفى هذا بعض العزاء

إيه ياوطنى ! ها نحن أولاء قمارعنا لنجدتك ، لا نطلب خلوداً ، فاننا نعرف التاريخ لا يتسع صدره لذكر أمثالنا . ليس التاريخ إلا سير العظماء ، وهيهات أن تعرف الدنيا إلا ضرباً واحداً منهم ، أقواهم وأقدرهم على الفتك والظلم الذى زحفنا لصدامه ،